جدلية تخطيط المدن العربية الإسلامية عند المستشرقين

م. م. نجوان عبد الكاظم جبار الكوتاوي
المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار
Nagwan22@gmail.com

الملخص

منذ بداية القرن العشرين والمدن الإسلامية ، تتعرض للكثير من التشويه والإساءة والتدليس من قبل الكثير من المستشرقين وذلك من خلال أبحاثهم وكتاباتهم ، فقد حاولوا إثبات عدم مساهمة المسلمين في بناء المدن وعدم معرفتهم في الحياة المدنية والحضرية عموماً ، فهم مجرد قبائل رحل تعودوا على الإنتقال وعدم الأستقرار ، وان المدن التي شيدت في العصور الإسلامية كانت مدناً حربية بالدرجة الأولى ، وكانت امتداداً للمدن البيزنطية والرومانية والفارسية ، وأن المدن الإسلامية لم تعرف منهجاً للتخطيط العمراني.

فهم صوروا المدينة الإسلامية على أنها من المدن التي قامت دون تخطيط مسبق ، جعلها ضمن المدن العشوائية أو العفوية. لذلك كان الدافع الأساسي لإعداد هذا البحث هو محاولة لإثبات أسبقية المسلمون وتفردهم ببناء مدنهم.

وتهدف الدراسة إلى رصد أقوال المستشرقين عن المدينة الإسلامية ومحاولة الرد عليها ، من خلال تحليل وإبراز أثر العرب المسلمين في تخطيط بناء المدن العربية الإسلامية.

الكلمات المفالحية : المدن ، المستشرقين ، البصرة ،الكوفة)

Summary

Since the beginning of the twentieth century , Islamic cities have been subjected to a lot of misinformation, abuse and fraud by many orientalists, And that , through their research and writing , thy tried to prove the lack of Muslim's contribution to building cities and their lack of knowledge in urban and metropolis life in general. They are just nomadic tribes , accustomed to transportation and instability , and the cities that were constructed in the Islamic ages were primarily military cities and were an extension of the Byzantine , Roman and Persian cities. And that the Islamic cities did not Know a method for urban planning.

They portrayed the Islamic city as one of the cities that had risen without prior planning making it among the random or spontaneous cities. Therefore , the main motive for preparing this research was an attempt to establish the primacy and uniqueness of Muslims in building their cities.

The study aims to monitor the statements of orientalists about the Islamic city and try to respond to it by analyzing and highlighting the role of Muslim Arabs in planning the construction of Arab Islamic cities.

Key words: (Cities , Orientalists , Basra , Kufa , Albustat).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا وشفيعنا محمد (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين) واصحابه الميامين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

فقد تم تخصيص هذا البحث لموضوع مهم طالما شغل الباحثين إلا وهو دراسة جدلية تخطيط المدن العربية الإسلامية عند المستشرقين ، إذ تعد دراسة المدينة عموماً من الدراسات المهمة بوصفها وحدة حضارية متكاملة بتطوراتها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية ، وهي جزء فعال ومهم لحركة التقدم الحضاري ، وقد نال موضوع دراسة المدن العربية الإسلامية اهتماماً واسعاً عند المستشرقين منذ بداية القرن العشرين ، ولا يخفى بأن الدوافع السياسية كانت وراء هذا الهجوم.

أن جغرافيا المدن العربية الإسلامية ما هو الا شاهداً على التطور الحضاري والانساني الذي وصل إليه المسلمون ، لذا نجد ان المستشرقين أبدوا اهتماماً خاصاً بدراسة العلاقة بين الإسلام والمدينة والإسلام بوصفة ديناً وعقيدة لذا لم تغب هذه القضية المهمة عن اهتمامات المستشرقين البحثية والتنقيبية وهم معروفون بولعهم بمختلف الظواهر في حياة المسلمين وكيف كان الاسلام باحثاً للتمدن متخذين من المدن الإسلامية شاهداً ودليلاً على ذلك وهناك من يخالف هذا الرأي نافياً أثر الإسلام في تكوين المدينة ونهضتها.

يهدف البحث إلى الرد على هذه الأقوال والإدعاءات ، لذلك أقتضت طبيعة موضوع البحث إن يكون مقسم على ثلاثة مباحث ، المبحث الأول : كان بعنوان تعريف المدينة ومفهومها ، ويتطرق إلى تعريف المدينة في اللغة والإصطلاح ، ومفهوم المدينة في القرآن الكريم والحديث الشريف ومفهوم المدينة عند الفقهاء. أما المبحث الثاني: فكان مخصصاً لمفهوم الأستشراق لغة وأصطلاحاً. أما المبحث الثالث : يلقي الضوء على بعض أراء المستشرقين حول تخطيط المدن العربية الإسلامية والرد عليها. وفي النهاية يشتمل البحث على خاتمة والهوامش وقائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول : تعريف المدينة ومفهومها.

أولاً : المدينة في اللغة.

يرجع أصل كلمة مدينة في اللغة العربية إلى مدن ، ومدن بالمكان أقام به ومعنى مدن المدائن أي مصرها.[١] وأورد الفيروز أبادي[٢] وابن منظور[٣]: "أن المدينة هي (الحصن) على أن يبني على أكمة من الأرض وتعد كل قطعة من الأرض يبنى فيها حصن في أصطمتها مدينة ، وأن المدينة تعادل الأمة من حيث المقومات".

وترجع كلمة مدينة إلى كلمة (دين) وهذه الكلمة جاء معناها من أصل (سامي) وعرفت عند الأكديين والأشوريين بالدين أي "القانون" ، أما في الآرامية والعبرية يقصد بالديان أي (القاضي) ومصدرها في الآرامية (مدينتا) وتعني (القضاء) وتوافق هذه التفسيرات ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وما أشارت إليه بعض المعاجم العربية فقد أتضح من التفسير القرآني أن كل المواضع التي إطلق عليها لفظ (مدينة) كان عليها حكام وملوك وفيها على وجه التحقيق الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية.[٤]

وأصل الكلمة كما ورد في المعاجم اللغوية والأحاديث الشريفة عربي وليس آرامياً وعبرياً.

فالمدينة ليست مكاناً دونما شروط ، إنما هي المكان الذي تقام فيه الحدود ، وبان جذرها اللغوي (دين) يرتبط بمسألة العدالة والقضاة والقانون ومن هنا فأن العرب قد سبقوا (ماكس فيبر) في هذه الخصائص.[٥]

ثانياً : المدينة في الإصطلاح.

تعرف المدينة إصطلاحاً : لدى أرسطو بإنها عدد من الذكريات التي الممكن معرفة مكوناتها ومعانيها وتكون تلك الذكريات صخرية ، وقد ذهب البعض إلى تعريف المدينة بأنها تجمع سكاني حيث غالبية السكان يعملون في التجارة أو الصناعة أو الأدارات العامة ، وقد عرف ابن خلدون[٦] المدينة (بأنها أمصار تمتلك أبنية كبيرة وأجرام وهياكل عظمية).

تعددت التعريفات ولكن أهمها ما أجتمع عليه علماء الأجتماع والأنسان وهي المساحة الجغرافية الواسعة الذي يوجد فيه كثافة سكانية عالية وذات الانظمة الاقتصادية المتنوعة وتوجد فيها الخدمات والدوائر الحكومية الرسمية.[٧]

ثالثاً : المدينة في الحديث النبوي الشريف.

أن التصوير الذي صورته بعض الأحاديث النبوية الشريفة لتعبير المدينة والقرية يكاد يكون مماثلاً ومطابقاً لما ورد ذكره في الآيات القرآنية ، والمعروف ان الأحاديث تحتوي على معلومات أجتماعية وأقتصادية وسياسية لا يمكن الاستغناء عنها في الكتابة عن بعض الجوانب من التاريخ العربي الإسلامي قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : "يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى

المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح".[٨] ويقول (صلى الله عليه واله وسلم) : "سنفتح عليكم الأمصار وستكونون جنود مجنده تقطع عليكم فيها بعوث".[٩] وجاء في الحديث النبوي : "يا مالك الناس وديان العرب".[١٠] كما ورد في الحديث الشريف استخدام لتعبير المدينة بأنها المدينة الميناء أو المدينة المرفأ ، وقال (صلى الله عليه واله وسلم) : "سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر".[١١] وفي ضوء ذلك يمكن أن نعرف المدينة بأنها المكان أو الرقعة من الأرض التي يجتمع فيها الناس ويقيمون فيها ولها حدود ثابتة.

رابعاً : المدينة في القرآن الكريم.

المفهوم التمدني لكلمة مدينة أو قرية في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِفُوهُمَا فَوَجَدَوا فِيهَا جِدارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾.[١٢] فالجدار المذكور لابد أن يكون مبنياً من مادة الطين أو الآجر وهما مادتان عمرانيتان استخدمتا في المدينة بالدرجة الأولى.[١٣]

خامساً : المدينة في نظر الفقهاء.

ولما كنا بصدد الفائدة التي استقيناها مما أورده القرآن الكريم والحديث الشريف بخصوص تحديد المدينة وتميزها عن القرية فأنه من الضروري جداً أن نعرج على موقف الفقهاء من هذه المسألة.

يبدو أن هناك اتفاقاً عاماً بين الفقهاء المسلمين بصدد الشروط والمستلزمات التي يجب توفرها في عقد وأقامة الصلاة الجامعة يوم الجمعة ، وذلك لأنها الصلاة الجامعة الرئيسة التي تقام في المسجد الجامع في كل أسبوع ، فضلاً عن اعتبار أن للمسجد الجامع خصوصية تمدنية وفقاً للمفهوم العربي الإسلامي ، ولذلك يرى الفقهاء بإن هذه الصلاة الجامعة لا يمكن اقامتها في أي مكان دونما تحديد ، إن لا يجوز اقامتها إلا في الامصار.[١٤] فقد ورد عن النبي الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) حديثاً نصه : "لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة".[١٥] وانه من الواضح القول بان ورود كلمة مصر في الحديث يقصد به المدن التي أسسها العرب المسلمون ، وأطلقوا عليها أسم "أمصارا".

ويأتي تحديد الماوردي[١٦] في الأحكام السلطانية موافقاً تماماً لما ورد في هذا الحديث الشريف، إذ أشار بشأن صلاة الجمعة قائلاً : "أنه لا تقام صلاة الجمعة إلا في وطن مجتمع المنازل". وتحديد الماوردي واضح بالنسبة إلى مفهوم المدن بمعنى المكان الذي يجتمع فيه الناس ، فضلاً عن أنه تحديد يوافق تماماً ما سبق عرضه من آراء أصحاب المعاجم اللغوية في معنى المدينة وتعريفها ، فهل يعني هذا ان عنصر أجتماع المنازل والناس هو العنصر الوحيد في تحديد المدينة ؟ الجواب كلا فأن شرط أجتماع المنازل بحد ذاته يرتبط بعدد من الشروط منها :

١. ضرورة ان يقطن أو يقيم في هذا الوطن من تنعقد به صلاة الجمعة.
٢. ضرورة ان لا يظعن أو لا يرحل من هذا الوطن هؤلاء الناس صيفاً أو شتاء.

وأذا ما دققنا النظر في هذين الشرطين نراهما يتطابقان أيضاً مع التحديدات السابقة للحاضرة، مما يقودنا إلى الأستنتاج بان هناك توافقاً طبيعياً بين مفهوم اللغويين من العرب للحاضرة والمدينة وبين التحديد الفقهي.(١٧)

ويتصل التفسير الفقهي للمدينة أيضاً بهذا المفهوم اللغوي إذ إن أبي حنيفة ذكر : "أن صلاة الجمعة إنما تختص بها الأمصار دون غيرها ، وأنه لا تجوز إقامتها في القرى ، واعتبر أن المصر هو ذلك المكان الذي يوجد فيه سلطان يقيم الحدود وقاض ينفذ الأحكام".(١٨) فالمدينة عند أبي حنيفة هي : كل بلد تقام فيه الجمعة ، ويقوم فيه حاكم يسوس الناس ، وقاض يحكم بينهم بالعدل ، وهو في هذا يستدل بالحديث الشريف : "لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة".(١٩) ويسير في الاتجاه نفسه تعريف بعض الجغرافيين للمصر حيث يذكر المقدسي(٢٠): انه هو "كل بلد جامع تقام فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقة".

ومن منظور أجتماعي ذكر الفيروز آبادي(٢١): أن "المدينة تعادل الأمة" ، وهو أمر يتوافق مع تعريف المدينة وكيفية نشأتها الذي أشار إليه القزويني(٢٢)، الذي ذكر أنه : "عند حصول الهيئة الأجتماعية لو أجتمعوا (البشر) في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح ، ولو تستروا في الخيام والخرقاهات لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو ، ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب ، كما ترى في القرى التي لا سور لها ، لم يأمنوا صولة ذي بأس ، فأكرمهم الله تعالى باتخاذ السور والخندق والفصيل فحدثت المدن والأمصار والقرى والديار ... وأتخذوا للمدن سورا حصينا وللسور أبوابا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج بل يدخل المرء ويخرج من أقرب باب إليه.

وإتخذوا لها قهندازاً لمكان ملك المدينة ، والنادي لاجتماع الناس فيه ، وفي البلاد الإسلامية المساجد والجوامع والأسواق والخانات والحمامات ومراكض الخيل ومعاطن الإبل ومرابض الغنم ، وتركوا بقية مساكنها لدور السكان ، فأكثر ما بناها الملوك والعظماء على هذه الهيئة ، فنرى أهلها موصوفين بالأمزجة الصحيحة ، والصور الحسنة والأخلاق الطيبة ، وأصحاب الآراء الصالحة والعقول الوافرة ، واعتبر ذلك بمن مسكنه لا يكون كذلك مثل الديالم والجبل والأكراد ، والتركمان وسكان البحر إلى ما في ذلك من تأثير على طباعهم وعاداتهم الاجتماعية اليومية ، ثم اختصت كل مدينة لاختلاف تربتها وهوائها بخاصية عجيبة ، وأوجد الحكماء فيها طلسمات غريبة ، ونشأ فيها صنف من المعادن والنبات والحيوان لم يوجد في غيرها وأحدث بها أهلها عمارات عجيبة ، ونشأ فيها أناس فاقوا أمثالهم في العلوم والأخلاق والصناعات".(٢٣)

المبحث الثاني : مفهوم الأستشراق.

أولاً : الاستشراق لغة.

كلمة "الأستشراق" مشتقة من مادة "شرق" وفي معاجم اللغة العربية "شرقت الشمس" شرقاً طلعت وبابه نصر ودخل ، وشرق : أخذ في ناحية المشرق ، والشرق : الشمس وجهة شروق الشمس[٢٤]، والسين في كلمة الاستشراق تفيد الطلب أي طلب دراسة ما في الشرق ، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه ، ولعل هذا التعريف اللغوي بالنسبة للغة العربية ، والجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة.[٢٥]

أما في اللغات الأوربية فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن معنى الشروق والضياء والنور والهداية ، وهذا ما تناوله سيد محمد الشاهد[٢٦]، في تعريف للاستشراق مستعيناً بالمعاجم الغربية إذ يرى أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية بعكس الغروب بمعنى الأقوال والانتهاء، وقد رجع أحد الباحثين المسلمين وهو السيد محمد الشاهد إلى المفاهيم اللغوية الأوربية (الألمانية والفرنسية والإنجليزية) ليبحث في كلمة شرق ORIENT فوجد أنه يشار إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة : "تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland وتعني بلاد الصباح ، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس ، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة ، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة". وفي اللاتينية تعني كلمة orient : يتعلم أو يبحث عن شيء ما ، وبالفرنسية تعني كلمة orienter وجه أو هدى أو أرشد وبالإنجليزية orientation تعني توجيه الحواس نحو أتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الأجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي.[٢٧]

ثانياً : الأستشراق اصطلاحاً.

هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي ، وكلمة (مستشرق) بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يقوم بدراسة الشرق كلة في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه ، ومعنى خاص هو الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وتأريخه وعقائده وتشريعاته بوجه عام.[٢٨] فالاستشراق بتعبير موجز ، هو دراسة يقوم بها الغربيون لقضايا الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتأريخه ولغاته

، وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته.[٢٩] وقد جاء في بعض المصادر الحديثة : "اشتشرق : طلب علم الشرق ولغاتهم "مولدة عصرية" تقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة".[٣٠] وقد عرف غربيون آخرون الأستشراق ومن هؤلاء المستشرق رودي بارت حيث يقول : "الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة ، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه ، كلمة استشراق مشتقه من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي".[٣١]

وإذا كان الأستشراق يستقطب هذه الصيغة – فالمستشرق بهذا الأعتبار هو الغربي الذي يدرس تراث الشرق وكل ما يتعلق بتأريخه وعلومه وآدابه ... ولابد لدراسة هذا التراث من أداة توصله إلى ثماره المنشودة وهذا الأداة التي يجب أن يتحصن بها المستشرق ، هي أتقان لغة الشرق ، والتخصص بأبرزها أثاراً في التاريخ والفنون والعلوم والأداب وهي اللغة العربية لا ريب. لهذا يرى المستشرق الألماني المعاصر (ألبرت ديتريش) إن المستشرق : "هو الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأنى له الوصول إلى نتائج سلمية مالم يتقن لغات الشرق".[٣٢] وقيل إن المستشرقين اصطلاح واسع يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة ، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق مثل الهند والصين وفارس ، والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق.[٣٣] وقيل هم "الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية".[٣٤]

وعليه فإن العلاقة وثيقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي ، فقد أطلق على الدراسة التي تعني بالعالم الشرقي مصطلح الاستشراق ، وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات بالمستشرقين ، "وهم جماعة من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءاً من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق".[٣٥]

هذا هو الاستشراق بمفهومة الواسع ، وهناك مفهوم خاص ويعني الدراسات المتعلقة (بالشرق الأوسط) لغته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام ، ويطلق على الذين يقومون بتلك الدراسات (بالمستعربين).[٣٦]

أما نشأة الاستشراق فلا يوجد إتفاق بين الباحثين على فترة معينة لبدايته ، فمنهم من أرجح تاريخه إلى القرون الأولى الميلادية ، فيما ذهب آخرون للقول انه ظهر عند الرهبان الذين قصدوا الأندلس إبان مجدها طلباً للعلم ، واشتهر من هؤلاء الراهب الفرنسي جربرت ، الذي انتخب باباً لكنيسة روما سنة (٩٩٩م) ، ومنهم من جعل الحروب الصليبية بداية للاستشراق حيث بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية ، ويرى البعض ان البدايات الأولى للاستشراق تزامنت مع الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين والنصارى في الأندلس بعد استيلاء الفونسو

السادس على طليطلة سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) ، فيما ذهب آخرون إلى ان البدايات الأولى للاستشراق تعود إلى القرن الثاني عشر للميلاد. إذ كانت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة اللاتينية وذلك سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، كما عد أخرون حاجه الغرب للرد على الإسلام ولمعرفة أسباب القوة الدافعة لابنائه خاصه بعد سقوط القسطنطينية سنة (١٤٥٣م) حيث وقف الإسلام سداً مانعاً لانتشار النصرانية بداية للاستشراق.[٣٧]

وبعد إن قدمنا مجموعة من التعريفات للاستشراق استناداً إلى الكثير من المراجع في هذا المجال ، فإننا يمكن أن نقول إن الأستشراق هو كل ما يصدر عن الغربيين من أوربيين (شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفيت) ، وأمريكيين من دراسات أكاديمية جامعية تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة ، وفي الشريعة وفي الاجتماع وفي السياسة أو الفكر أو الفن ، كما يلحق بالاستشراق كل ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغاتهم ، أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم.[٣٨]

المبحث الثالث : آراء المستشرقين حول تخطيط المدن العربية الإسلامية والرد عليها.

أنكرت بعض الدراسات الغربية وجود أسس تخطيط ثابتة للمدينة الإسلامية وأنها خالية من أي تخطيط أو تنظيم بمعنى أنها عشوائية ، وتعم فيها الفوضى على عكس ما كانت عليه المدن الرومانية ومدن أخرى في أوربا بالعصور الوسطى ، ولقد تأرجحت دراسات المستشرقين للعمران والعمارة الإسلامية بين الإجحاف والإنصاف ، وإن كانت كفة دراساتهم وأبحاثهم قد مالت إلى الإجحاف للأسباب عدة منها جهل المستشرقين باللغة العربية وعدم إدراكهم أصول الشريعة الإسلامية وجهلهم لكنوز الحضارة العربية وتراثها ، كذلك ضرب هوية الإسلام ومحاولة تهميش الحضارة الإسلامية وتوصيف الحضارة للغرب فقط ، وغيرها من الأسباب ، وفيما يأتي عرض لآراء بعض هؤلاء المستشرقين.

***المستشرق هنري لامينس Henry Lamins (١٨٦٢-١٩٣٧) :**

بلجيكي المولد ، فرنسي الجنسية ، أنظم إلى الرهبانية (١٨٧٨) يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام يفتقر أفتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والإمانة في نقل النصوص وفهمها ، ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين ، توفي في بيروت.[٣٩] أعتبر مدن الحيرة والفسطاط والقيروان غير منظمة وغير نامية ، لأنها لم تخطط من قبل السلطة المركزية ، وإنما من السكان وحدهم.[٤٠] ويسير الأب لامينس في المسار نفسه متحدثاً عن بساطة منازل أغنياء

قريش يقول : "يبدو أن أغنى أصحاب الأموال من قريش ، وعلى الأقل في الفترة السابقة على الإسلام ، كانوا يعيشون في مساكن فقيرة ، ويتحدث الشعراء البدويون عن اتساع وارتفاع قدور أصحاب الجود المكيين ، ولكن لا يجد المرء قط من يذكر ترف مساكنهم ولا حتى مهابة منظرهم ، ولا ينطقون أبداً كلمة قصر ، ولم تكن بمكة عمارة ، ولما كان الأمر يحتاج بين حين وآخر إلى تجديد عمارة المبنى الصغير للكعبة فان الأهالي كانوا يضطرون إلى الالتجاء إلى عمال أجانب".(٤١)

***المستشرق كريزويل Criswell :**

البروفسور كيبل ارشيلبد تشارلس كريزويل ، ولد في بريطانيا سنة (١٨٧٩) تخرج من مدرسة وستمنستر أختير مفتشاً للآثار ونزل بالقاهرة (١٩٢٠) فاستوطنها ، عين أستاذاً للفن والعمارة في الجامعة المصرية (١٩٣١) ويعتبر من أعظم العلماء المتخصصين في العمارة الإسلامية.(٤٢)

عَدَّ كريزويل البصرة والكوفة والفسطاط مدن متميزة بأزقة ، فوضوية متيهة ومجازات صماء (متداخلة) مع خيام وأكواخ ، بينها أراض ضائعة ، ففي الكوفة يحتاج الزائر إلى مرشد عندما يزور الحي الأخر (حتى لا يضيع).(٤٣) في حين يصرح كريزويل : "أنه يبدو أن عرب ما قبل الإسلام لم يكن لديهم إلا أخشن الأفكار عن البناء ولم يكن معبدهم الرئيسي – يقصد الكعبة شيئاً أكثر من مساحة صغيرة مسورة بأربعة جدران بارتفاع قامة الأنسان ولم يحملوا من الأيام المبكرة إلى الأقطار التي فتحوها شيئا معماريا ، يتجاوز ما يخدم حاجاتهم العقائدية البسيطة فحسب".(٤٤)

***المستشرق جيمس روجرز James Rogers :**

فيرى جيمس : "إن تخطيط سامراء نموذج لمدينة إسلامية تختلف بوضوح عن أي مدينة هيلينية" وعلى هذا الأساس فأن روجرز لا يعتقد بان بناء مدينة سامراء يعد ظاهرة تمدنية منعزلة إنما هي جزء من حركة التمدن العربي التي ترجع اصولها إلى الفترة الأموية ، إذ ان الأمويين اعتادوا على اتخاذ تصور ومراكز تمدنية في الصحراء لتكون متنزهات لهم ، وبذلك فان تأسيس مدينة سامراء يعد مؤشراً لعظمة السلطان.(٤٥) وهو أمر يكشف عن محاولة بحثية لمعارضة الإتجاه الذي أكد تأثر تخطيط المدينة الإسلامية بالمدن الهيلينية – وسامراء نشأت لظروف خاصة دفعت إلى إنشائها ، ففكر المعتصم في إنشائها لتكون مقراً للجند الأتراك ، وعاصمة لدولته بعيداً عن بغداد التي ضاقت بالأتراك لما كانوا يحدثونه من مشاغبات كما أنها نشأت في ظروف سياسية واقتصادية مختلفة عن الظروف التي أنشئت فيها بغداد مثلاً.

***المستشرق كويتاين Quettin :**

مستشرق من أصل مجري ، يهودي عني بالمجتمع اليهودي في مصر والشام في العصور الوسطى ، ولد في بور بكونشتات بنواحي في بافاريا سنة (١٩٩٠م) وهاجر إلى فلسطين في سنة

(١٩٢٣) وقام بالتدريس في مدرسة في حيفا لمدة أربع سنوات ، وفي سنة (١٩٥٧) صار أستاذاً في جامعة بنسلفنيا بولاية فيلادلفيا في الولايات المتحدة الأمريكية واستمر في هذا المنصب حتى سنة (١٩٧٠).[٤٦]

ويقول كويتاين : "إنه من الخطأ الفادح ان نعزو إلى العرب قلة التذوق للحياة في المدينة ، وإن الأدب العربي الإسلامي يقدم معلومات غير قليلة بخصوص اللوم الذي وجه ضد البذخ المتزايد في تشييد العمران والبيوت وكذلك إلى الصرف الباذخ في تشييد المساجد".[٤٧] كما يضيف كويتاين قائلاً : أن العرب الذين أسسوا الأمصار الإسلامية الأولى كالبصرة والكوفة والفسطاط كانوا من أشد المحبين للبناء والعمران ، فضلاً عن أنهم كانوا يحبون مدنهم ويفاخرون بها ويفضلونها على غيرها من المدن ويفتخرون في الانتساب إليها ، ويورد كويتاين رواية تتعلق بعقد زواج إشترط فيها أهل الزوجة بإن لا يبدل الزوج المدينة بأي مكان آخر دون موافقة الزوجة ، ويذكر أيضاً رسالة أخرى توضح بان الزوجة لم تتحمل العيش في الريف لذلك هربت من زوجها وأتجهت إلى القاهرة ، فرضخ الزوج لطلب زوجته بالإنتقال من الريف إلى دمياط.[٤٨] أنها استشهادات مهمة تدل على حب المسلم للسكن في المدينة ، لذلك يقول بأنه من الخطأ الكبير أن نعزو إلى البدوي قلة التذوق للعيش في المدينة أو تفضيله الصحراء عليها.

***المستشرق جرتول بال Gertrul Pal :**

يقول جرتول : "كان الغزاة المحمديون مجرد بدو رحل سكنهم الخيمة السوداء وقبرهم رمال الصحراء ، وكان سكان الواحات النادرة في غرب ووسط البلاد العربية مثل ما هم عليه اليوم يقنعون بنوع قبيح من العمارة من اللبن وجذوع النخل ، لا يزينه أي نقش معقد من وحي الخيال ، ولا يصلح إلا لأبسط الحاجات".[٤٩]

***المستشرق ريتشموند Richmond :**

يقول ريتشموند : "ان مدى الأمكانيات المعمارية الإسلامية قبل قيام العرب بفتوحاتهم كانت لا تكاد تكفي إلا لتعبير عن حاجاتهم بطريقة غشيمة إلى أقصى درجة".[٥٠] وينطبق هذا القول على العرب المستقرين ، ولكن العرب الرحل في ذلك الوقت كان يتكون منهم تسعة اعشار سكان بلاد العرب ، وكانت الخيمة المصنوعة من الوبر هي أجمل عمارتهم ، ولم يكن البدوي الأصيل ليتقبل راضيا ان ينام بين أربعة جدران ويعلو سقف فوق رأسه إذ يشعر كما لو كان قد وقع في فخ ، ويمكن القول بأن البدوي منهم كان يعاني من رعب متأصل موروث من الأماكن المقفلة.

فمن الواضح أذن ان بلاد العرب كانت تحتوي على فراغ معماري يكاد يكون تماماً ، وان الصفة العربية يجب ان لا تستخدم لتعريف عمارة العصر الإسلامي فإن ما وصلنا من أوصاف

تفصيلية لأول مسجد جامع في العصر الإسلامي وهو فناء دار النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بالمدينة ، يوضح انه كان بدائياً إلى أقصى درجة ، وكذلك كانت الجوامع في كل مناطق الحير الكبيرة وهي المعسكرات نصف البدوية التي كانت تنشأ مع الفتوحات الإسلامية ، مثل البصرة والكوفة والفسطاط، وكانت الجوامع المبكرة في سوريا كنائس حولت كلها أو بعضها إلى مساجد.(٥١)

وليس هناك من سبب يدعو إلى الاعتقاد بإنه قد شيد أي بناء من أول الأمر ليكون جامعا قبل أيام الوليد ، وربما عبد الملك وظل الأمر على هذا الحال فترة جيلين ، وبقي العرب بعيدين عن ان يداخلهم أي شعور بطموح معماري حتى أنهم لم يظهروا اية رغبة في الانتفاع بالمواهب المعمارية الناضجة التي كانت يتمتع بها أهالي البلاد المفتوحة ، وهناك كل الأسباب التي تجعلنا نعتقد مع فرجوسون : "انه لو كان الإسلام قد بقي قاصرا على المواطن الذي نزل فيها فمن المحتمل انه ما كان قد شيد أبداً ما يستحق ان يسمى بمسجد".(٥٢)

يتضح من مجموعة الآراء التي أشرنا إليها في الصفحات السابقة بأن أكثر اولئك العلماء الغربيين قد انكروا على العرب القيام بأنشاء العمائر في الجزيرة العربية في الفترة السابقة لظهور الإسلام ، كما أنهم أتجهوا وجهة مشتركة هي بحث أصول الحضارة العربية الإسلامية بوجه عام ، وبالتالي أصول العمارة الإسلامية بطريقة يهدفون منها إلى نسبة تلك الأصول إلى مصادر غير عربية وغير إسلامية.(٥٣)

يجب مناقشة الآراء التي بسطها علماء الآثار والمستشرقين الغربيين عن عمارة العرب في الفترة السابقة للإسلام حتى تتوضح الصورة أمام اعيننا ، فقد كتب الدكتور فريد شافعي :

"بأنه يتضح لنا من طريقة تناول أولئك العلماء لمناقشة عمارة العرب في شبه الجزيرة ان تعريف لفظ "العمارة" نفسه ليس واضحا في اذهانهم ، ذلك انه يكاد ينحصر مفهومها عندهم بأن العمارة ما هي إلا تفاصيل وزخارف ، واناقة البناء وعظمته ، وهو فهم خاطئ إلى حد كبير ، ذلك لان المسلم به ومن المتفق عليه في جميع الأوساط المعمارية في العالم كله بغير أستثناء ان جوهر العمارة يتمثل أولاً وقبل كل شيء في التخطيط العام للمبنى ، وفي توزيع وحداته الرئيسية التي يكون منها ذلك التخطيط ، أما التفاصيل والعناصر والزخارف فهي بمثابة المظهر الخارجي الذي ينعكس عليه تفاوت درجات الأناقة والثراء.(٥٤)

ويمكن تلخيص تعريف العمارة بإنها نتيجة كل محاولة قام بها الأنسان وهدف بها إلى ان يوفر في معيشته ثلاثة مطالب كلها أو بعضها ، وهي (الراحة ، الأمن ، الجمال) وسواء كانت نتيجة تلك المحاولات ناجحة أو فاشلة. وأين هذا الرأي من رأي لامانس لدى حديثه عن عمارة العرب وتخطيط مدنهم وتفاصيل البناء وخوضه في مهابة منظر العرب التي يستهزء بها ، فأن

ذلك لا يرتقي إلى البحث التاريخي والاثاري بشيء ويصبح نوعا من التهجم الذي لا نجد أي مبرر له سوى الحقد الأسود الذي ملأ صدر هذا المستشرق الحاقد على تراث العرب والمسلمين ، ولا بأس أن نذكر جملته التي تتعلق بتجديد عمارة الكعبة التي يقول فيها : "ولما كان الأمر يحتاج بين حين وآخر إلى تجديد عمارة المبنى الصغير للكعبة فأن الأهالي كانوا يضطرون إلى الالتجاء إلى عمال اجانب".[٥٥] ونظراً لأهمية ما يقول لامانس في جملته السابقة، وخطورة ما بنى عليها هو وغيره من مستشرقين من احكام اثرية وتاريخية تمس حضارة العرب والمسلمين ، فاننا سوف نقف قليلا عندها، مناقشين رأيه معتمدين على نفس المراجع التي اعتمدها، ثم نرى بعد ذلك أهمية افكاره وقوة حجمها، إذ اعتمد لامانس في حكمه على رواية أوردها المؤرخ العربي الأزرقي في كتابه (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) التي تشير إلى ورود اسم باقوم الرومي أثناء تجديد قريش للكعبة ، فاطلق لامانس حكمه باستعانة العرب على جميع تجديدات الكعبة بالأجانب".[٥٦]

وقد أورد المؤرخ الأزرقي خبر بناء قبيلة قريش للكعبة في عدة روايات مفصلة ، نورد ملخصها فيما يأتي : "كانت الكعبة مبنية برضم يابس ليس بمدر ، وكان بابها بالأرض ، ولم يكن لها سقف ، وكانت الكسوة عليها ركاما بعضها فوق بعض تدلى على الدر من خارج وتربط من اعلا الجدار من داخلها، وقد اجمرت امرأة من قريش الكعبة فطارت من مجمرتها شرارة فاحترقت كسوتها وتوهنت جدرانها من كل جانب وتصدعت ، وكانت تأتي مكة سيول عظيمة ، فجاء سيل عظيم والكعبة على ذلك الحال ، فدخل الكعبة وصدع جدرانها ففزعت قريش من ذلك فزعا شديدا ، وهابوا هدمها وخشوا ان يمسوها ، وبينما هم يتشاورون في امر هدمها اقبلت سفينة للروم اذا كانت بالشعيبة : (تقع في جنوب جدة وتبعد عنها مقدار مرحلتين وهي قريبة من الرأس الأسود وموقعها معروف حتى اليوم). وهي يومئذ ساحل مكة قبل ميناء جدة فأنكسرت فسمعت بها قريش فركبوا إليها واشتروا خشبها واذنوا لأهلها ان يدخلوا مكة فيبيعون ما معهم من متاعهم على ان لا يعشروهم ، وكان في السفينة نجار رومي يسمى باقوم قدموا به مكة مع من قدم من اصحابه ، فجمعوا الحجارة من الضواحي وقد نقل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الحجارة معهم قبل ان ينزل عليه جبريل بالرسالة ، ولما اجتمع لهم ما يريدون من الحجارة والخشب ، هدموا الكعبة حتى بلغوا الأساس الأول الذي رفع عليه إبراهيم واسماعيل (عليهما السلام) القواعد من البيت ، وكان ارتفاعها قبل ذلك تسعة أذرع فزادت قريش في ارتفاعها في السماء تسعة أذرع آخر وبنوها من اعلاها إلى اسفلها بمدماك من حجارة ومدماك من خشب ، وكان الخشب خمسة عشر مدماكا ، والحجارة ستة عشر مدماكا. وجعلوا ميزابها يسكب في الحجر ، وجعلوا درجة من خشب في بطنها في الركن الشامي يصعد منها إلى ظهرها ، وبنوا سقفها مسطحا وجعلوا فيه ست

دعايم في صفين في صف ثلاث دعايم ، وزوقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعايمها، وجعلوا صور الانبياء، وصور الشجر وصور الملائكة، فكان فيها صورة إبراهيم خليل الرحمن ، وصورة عيسى بن مريم وامه".[٥٧] بناء على ما تقدم من روايات ، في وسعنا ان نذكر رأي الدكتور طاهر العميد كما موضح ادناه :

ان الذي قام ببناء الكعبة بعد بناء إبراهيم وولده اسماعيل (عليهما السلام) اقوام من العرب ولم تشر المصادر والمراجع إلى اشتراك غيرهم من الأجانب في البناء ، وعند تصدعها آخر مرة نتيجة تعرضها للحريق والسيل معا ، صممت قريش وهي قبيلة عربية ، على بنائها ، وكان الذي يؤخرهم عن البناء هو عدم توفر الخشب في مكة آنذاك. وعندما سمعوا بالسفينة التي تحطمت على الساحل على مقربة من جدة ، أسرعوا لشراء حطام تلك السفينة من اصحابها من دون أن يعرفوا ان بين ركابها بنائين أو نجارين ، وقد سمح القرشيون لركاب السفينة الدخول إلى مكة لبيع ما يحملون من أمتعة بعد ان تحطمت سفينتهم ، وكان من ضمن الذين سمح لهم بالدخول (باقوم) الذي ذكره المؤرخ الأزرقي بأنه نجار ، وفي رأينا ان القرشيين اشركوه معهم في نقل الحجارة والبناء كعامل اجير لا غير.[٥٨] وهذا يجعل كلام الأزرقي مفهوما عندما يقول أن باقوم كان نجارا.

ان اغلب بحوث المستشرقين يغلب عليها طابع التحيز لغير العرب والمسلمين وانكار فضل العرب في المساهمة باشادة صرح عمائرهم وتخطيط مدنهم وانها كانت تهدف إلى تكوين فكرة منظمة تتسرب إلى جميع العاملين في تاريخ الحضارة الإنسانية ويتلقفها طلاب الدراسات الأثرية ، تستهدف سلب العرب في العصر السابق إلى الإسلام من الأسهام في العمارة والبناء ، وانهم لا يعرفون هذا الضرب من الفن ، واستمرار جهلهم في هذا المجال في العصر الإسلامي ، وعلى هذا الأساس وحسب هذه النظرية فأن كل ما بناه العرب من عمارة وما خططوه من مدن إسلامية استعانوا على تنفيذها بغيرهم من مهندسين وفنانين ومزوقين أجانب.[٥٩]

ومع الأسف الكبير فأن فكرة المستشرقين هذه قد تفشت لدى بعض المؤرخين وعلماء الآثار العرب والمسلمين الذين انيطت بهم مهمات أكاديمية وجامعية وتدريسية وتثقيفية ، في مختلف الجامعات العربية والإسلامية. وتتلمذ على ايديهم العديد من طلاب الدراسات التاريخية والحضارية والأثرية ، وتبنوا آراء أساتذتهم واساتذة اساتذتهم ، وهكذا فأن أبحاث المستشرقين الغربيين المتحيزة قد أدت مهمتها واوصلت ما كانت تبشر به. وفي المقابل ظهرت طبقة من العلماء العرب ، لم يتأثروا بالآراء المتحيزة لاولئك المستشرقين فتصدوا لأبحاثهم يناقشون اصولها وقيمتها العلمية ، معتمدين تحليل الاصول المعمارية والفنية مستعينين على تلك المناقشات بالنصوص التاريخية

والمقارنات الاثرية وقد توصلوا إلى نتائج تغاير تماما ما كان قد توصل إليه اولئك المستشرقون.[٦٠]

وقد عقد الدكتور أحمد فكري فصلاً كبيراً عن المأخذ على بحوث المستشرقين وكتب في هذا الصدد "وتسلطت على علماء الآثار المستشرقين نظرية تجريد العرب من كل فضل في عمارتهم وفنونهم ، حتى أنهم أتفقوا على إسقاط صفة العروبة عنها ، واستبدلوا بها صفة الإسلام وأصبح (الفن العربي) عندهم تعبيراً خاطئاً صحته (الفن الإسلامي) وادعى بعضهم أن بلاد العرب كانت (فراغاً) معمارياً قبل الإسلام ، وأن العرب أنفسهم لم يجلبوا شيئاً معمارياً أو فنيا قط إلى البلاد التي فتحوها بعد الإسلام.[٦١] إذ يؤكد (كريزويل) مثلاً : ان الذي بنى الكعبة قبل الإسلام بناء حبشي اسمه باقوم ، وأن طريقة بنائها نقلت نقلاً عن الحبشة.[٦٢]

أما بعد الإسلام فقد بنى عبدالله بن الزبير الكعبة من جديد في سنة (٦٥هـ/٦٨٤م) ولكنه فضل في تلك المرة – كما يدعى (كريزويل) أن يستخدم عمالاً من الفرس في البناء ، فبنوا الكعبة بالحجارة الفخمة. والمعروف أن بلاد الفرس حينئذ لم تكن تستخدم الحجارة في البناء ، ولم يفسر (كريزويل) كيف أن هؤلاء العمال الفرس تعلموا البناء بالحجارة في حين ظل العرب بعد الإسلام يعرضون كما يدعى عن تعلمها".[٦٣]

المأخذ الأول – هو إنكار أي فضل للعرب في إقامة مبانيهم وتشكيل فنونهم (نظرية الفراغ العربي) : إذ طغى في العديد من أبحاث المستشرقين عقيدة راسخة هي إنكار أي فضل للعرب في إقامة مبانيهم وتشكيل فنونهم ، ولعل أكثر الأمثلة غرابة في هذا الاتجاه ما سجله كريزويل عن بناء قبة الصخرة وزخارفها ، إذ أنه قسم عناصرها إلى نسب مئوية وادعى أنها : "٢٢ في المئة من المصادر الرومانية ، و٢٢ في المئة من المصادر البيزنطية ، و٥٥ في المئة من المصادر السورية".[٦٤]

ويلاحظ أن الذي شجع هؤلاء العلماء على إنكار فضل العرب ، هو ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من ان : "العرب كانوا أبعد الناس عن الصنائع ، وأنهم كانوا لا يجيدون صناعة البناء ، وأن دولتهم كانت بدوية في أول أمرها تفتقر أمر البناء إلى غير قطرها". وأنهم لذلك استعانوا بالفعلة المهرة في إقامة عمارتهم وتشكيل فنونهم ، وقد استند هؤلاء العلماء إلى آراء ابن خلدون دون تمحيص علمي لها ولقيمتها التاريخية ، كما أنهم لم يعيروا أهمية لمدلول لفظ العرب في (مقدمته) وهم (العرب البدو).[٦٥]

المأخذ الثاني – هو الأنحراف عن الأسلوب العلمي والمغالاة أحياناً أو باتخاذ الاستثناء قاعدة عامة : ومما يؤخذ على بحوث المستشرقين كذلك تمسك الكثير منهم بنظرية (الفراغ العربي) وإنكار أي أثر للعروبة في العمارة والفنون الإسلامية ، وقد دفع هذا الإمعان في التنكر

للعروبة بعضاً منهم إلى الانحراف كثيراً عن الأسلوب العلمي والمغالاة أحياناً ، أو باتخاذ الاستثناء قاعدة عامة ، ومن ذلك ما ادعاه بعضهم من أن العرب لم ينشئوا المساجد في عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كما أنهم اتخذوا الكنائس في أول الأمر لإقامة شعائرهم ، أو اقتسموها مع المسيحين ويستند هؤلاء المستشرقون في ذلك على رواية بعض المؤرخين العرب.[٦٦]

وقد قام العالم الجليل أحمد فكري بالرد عليهم بـ :-

١. أن هؤلاء المؤرخين لم يشيروا لغير ثلاث أو أربع كنائس ، اقتسمها المسلمون مع المسيحين لفترة قصيرة ، وقد أشار (المقدسي)[٦٧] إلى أول هذه الكنائس عندما روى أنه : "لما فتح المسلمون حمص ، عمدوا إلى الكنيسة ، فجعلوا نصفها جامعا" ، وأشار (البلاذري) إلى ان الكنيسة الثانية وكانت في حلب وذكر ان المسلمين اتخذوا "نصفها جامعا"[٦٨]، وأشار (ابن عذاري)[٦٩] إلى الكنيسة الثالثة ، وهي كنيسة قرطبة وذكر هذا المؤرخ أن المسلمين اقتسموها أو الأمر مع المسيحين ثم اشتروها منهم وهدموها ، وبنوا مسجدهم في موضعها.

٢. وأضاف فكري قائلاً بأنه لو صحت هذا الروايات ، فهي لا تدل على قاعدة عامه ، وانما تشير إلى حالات استثنائية ضئيلة جداً بالنسبة للمئات من المساجد التي اقيمت في القرن الأول وحده من الهجرة ، ولكن بعض المستشرقين جعلوا من هذه الروايات مبدأ عاما ، وذهب البعض الأخر منهم إلى حد أن حور النص العربي الذي أشار إلى كنيسة واحدة في حلب فجعلة جملة من الكنائس ، وعربه جمعا ثم أن اتخاذ المسلمين أجزاء من الكنائس في ظروف خاصة وجعلها مساجد لا ينهض وحده دليلا علميا على أن تخطيط المسجد موروث عن تخطيط الكنائس ، وقد أجريت حديثا حفائر في مسجد قرطبة اثبتت بالبرهان القاطع أن نظام هذا المسجد "لا يرتبط في شيء قط بنظام الكنيسة التي كانت في موضعه".[٧٠] مما أضطر أحد المستشرقين أن يعترف بأن "قصة تحويل كنيسة قرطبة إلى مسجد لا تعدو أن تكون أسطورة طاب لبعض الرواة ذكرها ، تشبها بأسطورة تقسيم كنيسة دمشق ، على عهد خالد بن الوليد".[٧١]

المأخذ الثالث – أن أشتراك العمال المسيحين في أعمال البناء العربية وزخرفتها بمثابة قاعدة ثابتة : إذ جعل بعض علماء الآثار الإسلامية من المستشرقين من أشتراك العمال المسيحين في أعمال البناء العربية وزخرفتها قاعدة عامة ، ولم تكن في الحقيقة التاريخية غير استثناء ومن ذلك ما ذكره (كريزويل) من أنه : "كان يعمل في زخرفة قصر الطوبة أربع جماعات من العمال ، منهم جماعتان من القبط كانوا متأثرين بالفن الفارسي" ، ولم يستطع (كريزويل) أن يحدد موطن الجماعتين الأخريين ، ويقول أن السبب في ذلك هو الطابع الإيراني الذي يبدو على أعمالها ، ولكنه يفترض إن إحدى هاتين الجماعتين كانت فارسية ، والأخرى عراقية.[٧٢]

فإذا أضفنا إلى ذلك ما افترضه هو وافترضه غيره من العلماء الذين كتبوا عن هذا القصر من أن العمال الذين اشتركوا في بنائه قدموا من سوريا المسيحية ومن فارس ومن روما ، بدا هذا القصر مجرداً من عروبته ، وكأنه مزيج غريب وخليط عجيب.(٧٣)

المأخذ الرابع – هو مغالاة بعض المستشرقين في تشويه الحقائق : إذ ظل العرب في رأي كثير من علماء الأثار المستشرقين جهلة طوال القرون لم يتعلموا "صناعة البناء" ولهذا نرى هؤلاء المستشرقين يضطربون حين تعرض لهم عناصر جديدة من هذه الصناعة ، لم يكن لها شبيه أو نظير فيما سبق الإسلام من العصور ، ومن أمثلة ذلك : ما قيل عن عقود جامع قرطبة المزدوجة ، وهي عقود فريدة في تاريخ العمارة الإسلامية ، لم يعرف لها نظير قبل بنائها في سنة (١٦٩هـ/٧٨٥م).(٧٤)

ولكن (جورج مارسيه) وهو حجة العلماء في الأثار الإسلامية بالمغرب والأندلس ، قد عز عليه أن تكون هذه العقود ابتكاراً عربياً ، فادعى أنها اقتبست من قناطر (مريدا) (ماردة) في إسبانيا والمعروفة بجسر المعجزات (لوس ميلا جروس) ونشر رسماً يؤيد ادعاءه هذا ، ولكن الدكتور (أحمد فكري)(٧٥) أثبت أنه رسم مصطنع ، كبرت فيه عقود قرطبة وضخمت بحيث تبدو في الرسم نظيرة وشبيهة لعقود القنطرة العتيقة ، أما الحقيقة فهي غير ذلك لما يأتي :

١. الحقيقة أنه لا مجال للشبه والصلة بين عقود قناطر ماردة وبين عقود جامع قرطبة ، وهو ما يتضح للعين من خلال المقارنة بين تخطيطهما الحقيقي ، إذن تنعدم أوجه الشبه والصلة بينهما.
٢. أن العقود المزدوجة في مسجد قرطبة تؤدي وظائف محدودة لا توحي العقود الفخمة في قنطرة ماردة بها.
٣. كما أن عقود قرطبة المزدوجة تمثل تطوراً منطقياً للعقود الهندسية العربية ، ومن ثم فهي ابتكار فريد في تاريخ العمارة.(٧٦)

ونحن نؤيد صحة رأي الدكتور أحمد فكري أن العقود القرطبية أصيلة مبتكرة وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نقارن بين عقود جامع قرطبة وعقود جسر المعجزات بماردة وذلك لعدة أسباب منها : وهي أختلاف وظيفة كل من البنائين من جهة وطريقة أدائهم من جهة وأختلاف الظروف الزمنية التي أقيم فيها كل منهما من جهة أخرى.

المأخذ الخامس – هو اتجاه بعض المستشرقين إلى التحيز والمغالطة والافتراء ، والرد من خلال شهادة أحدهم : ويستند بعض المستشرقين في طريقة معالجتهم للمصادر في أقوالهم إلى الافتراضات التي لا تستند إلى أساس علمي ، بل وفي بعض الأحيان وصلوا إلى حد التحيز والمغالطة بل والأفتراء ، ومن أمثلة ذلك أفتراء (كريزويل) على (المقريزي) ، فقد ذكر المؤرخ

المقريزي أن "ثلاثة أخوه قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح".[٧٧] وعندما ترجم (كريزويل) هذا النص إلى اللغة الانكليزية ليستخدمه في كتابه أضاف اليه من عنده كلمة "مسيحين" فاصبح النص لديه "ثلاثة أخوه مسيحين".[٧٨] وهذا بمثابة مثال صارخ للتحيز.

ولقد أدى تحيز بعض علماء الآثار المستشرقين وتنكرهم للعروبة إلى اختلاف آرائهم وتناقضها وفي ذلك يقول أحد العلماء البارزين في الآثار الإسلامية وهو بريجز في كتابة (تراث الإسلام) إذ يقول : "إن أولئك الذين يجحدون فضل العرب في تاريخ العمارة يعتبرون أن العرب كانوا مجردين من أي تعبير فني ، وأن مبانيهم أقيمت على أيدي العمال القبط أو البيزنطيين أو الفرس ، وأن أقوى حجة ضد هؤلاء الكتاب هي أنهم لم يتفقوا إلا على تجريد العرب من كل فضل لهم ، ولكنهم أنفسهم أختلفوا أشد الأختلاف في منابع الأيحاء المشترك ، وبينما يحدد (جايبه) هذا المنبع في مصر القبطية ، يحدده (ديولافوا) في بلاد فارس وشمال الجزيرة ، ويحدده (هافل) في الهند ، و(ريفويرا) في روما ، وكل من هؤلاء مقتنع تماما بسخافة آراء الأخرين".[٧٩]

كان للعرب حضارة أصيلة تمتد جذورها إلى الجزيرة العربية قبل الإسلام ، كما كان لهم فن قديم ، ترجع أصوله إلى العرب القدماء ، وعرف العرب بناء المدن والقلاع والحصون في الفترة التي سبقت الإسلام ، وفي مختلف العصور الإسلامية ، وعلى امتداد رقعة العالم العربي والإسلامي ، وقد اقاموا مدنا في اقاليم مختلفة من اراضيهم ، وهذا يثبت بصورة قطيعة لا جدال فيها ان العرب كانوا على علم بأصول فن البناء وأساليب الهندسة والعمارة ، ويثبت أيضاً بطلان الأقوال التي تدعي ان الأراضي العربية كانت فراغاً معمارياً ، وقد اعتمدنا في أثبات ما ذهبنا إليه ، على المدن والعمائر والأبنية التي شيدها العرب في الجزيرة العربية واليمن ، ومدينة الحجر في شمال الجزيرة ، وما أقامة العرب من قلاع وحصون في الحضر وتدمر والحيرة.[٨٠]

والذي نراه ان الذي شجع اولئك المستشرقين على القول بأن العرب ، سواء في العصر الإسلامي أو العصر الذي سبقه لم يكونوا ذوي دراية بفن العمارة وتخطيط المدن ، لم يطلعوا على فنون الهندسة والبناء ، هو انفراد اولئك المستشرقون في خلال القرنين التاسع عشر والعشرين بالاهتمام في دراسة الآثار والمخلفات والمنشآت العربية والإسلامية ، اذ المعروف أن جملة من الرحالة والباحثين الغربيين بدأوا يومئذ زيارة المواقع الإسلامية امثال ماكس فان برشم وهر تسفيلد ، والسيدة بل وسارة وكريزويل ، وما سينيون ، ونتيجة لتلك الزيارات والدراسات صنفوا مؤلفاتهم وكتبوا بحوثهم ثم ان جهل الكثيرين منهم بفنون اللغة العربية وبيانها وعدم استطاعتهم فهم النصوص اللغوية والدينية ، أدى بهم إلى الوقوع في الأخطاء.[٨١]

كانت إذن هذه أهم العناصر التي اشتملت عليها الحملة على العرب وعلى المدن العربية ، فإن معظم المستشرقين حاولوا إنكار أي فضل للعرب في إقامة عمائرهم وتشكيل فنونهم ، ونلاحظ

ان دراسات المستشرقين لم تكن علمية وموضوعية بل كانت متحيزة ومبالغ فيها ، تحاول بكل الوسائل إثبات ان المسلمين لم يساهموا في بناء المدن ولم يعرفوا الحياة الحضرية، فهم مجرد قبائل رحل تعودوا على الإنتقال وعدم الاستقرار، وأن المدن التي شيدت في العصور الإسلامية كانت مدن حربية بالدرجة الأولى وكانت إمتداد للمدن البيزنطية والرومانية، فهم جردوا العرب من كل معاني الفن والعمارة الإسلامية والعلم والمعرفة ، وفي قولهم هذا غير صحيح ومخالف لما جاء في الروايات التاريخية التي تذكر ان العرب المسلمين عند بناء المدن قد راعوا في تخطيطها عوامل حسن اختيار الموضوع ، ومراعاة الظروف البيئية والصحية وغيرها من الأمور فكانوا يتخيرون مواضع المدن ويتفحصون امكنتها من الناحية الطوبوغرافية ويضعون شروط وقواعد عند بناء مدنهم وهذا دليل على حرص العرب على أختيار مواقع لمدنهم تتوفر فيها المتطلبات والتحريات الصحية والطوبوغرافية والعسكرية، وهذا يثبت بطلان آراء وأقوال المستشرقين التي تدعي ان العرب لم يعرفوا فن العمارة فهم بأقوالهم هذه حاولوا سلب العرب من الأسهام في العمارة وبناء وتخطيط المدن.

الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث جملة من النتائج يمكن تلخيصها بما يأتي :

١. أن أغلب دراسات المستشرقين تحتوي على العديد من الأخطاء الفادحة تتمثل بجهل المستشرقين باللغة العربية وعدم أتقانها وعدم أدراكهم لأصول الشريعة الإسلامية وأحكامها ، وجهلهم لكنوز الحضارة العربية وتراثها ، وأن بعض البحوث قد طبع بطابع التحيز.

٢. أثبتت الدراسة كذب وزيف أقوال المستشرقين المشوهة للمدينة الإسلامية.

٣. لقد حاول المستشرقون مقارنة المدن الإسلامية بالمدن الرومانية والاغريقية القديمة التي خططت من قبل السلطات المركزية ، بينما وصفوا المدن الإسلامية بالعشوائية.

٤. ان الكثير من الدراسات المحايدة التي أجريت على المدينة الإسلامية نجد أنها قد راعت في تخطيطها عوامل حسن أختيار الموقع ومراعاة الظروف البيئية والصحية والطوبوغرافية.

٥. ان تخطيط المدينة الإسلامية لم يكن عشوائياً كما يقول المستشرقين ، بل أسس لتلبية أهداف أساسية ، توفر الحياة الكريمة للسكان.

٦. نشأت المدينة الإسلامية لتلبية الأحتياجات الإنسانية وليس لتحقيق متطلبات الحكام كما في المدن الرومانية واليونانية.

٧. حاول المستشرقون تجريد العرب والمسلمين من العمارة والفن الإسلامي كذلك محاولتهم إلصاق البداوة بالعنصر العربي والانتقاص من الحضارة العربية الإسلامية.

٨. أن العرب المسلمين لم يخربوا المدن أو يشوهوها بل أنهم وجدوا في أثناء فتوحاتهم مدنا قديمة أو أنقاض مدن فطوروها وأضافوا عليها من حضارتهم ولم ينتقصوا من الحضارات التي سبقتهم من الأمم.

٩. أن المدن الإسلامية انما هي مدن عربية بنيت في عهود كان العرب هم الحكام فيها ، وتم أنشاؤها وتجديدها على أيدي الخلفاء وقادة الفتح العربي ، وأن مؤسسيها كانوا من العرب الصرحاء في اسمائهم وقبائلهم.

الهوامش

(١) الزبيدي ، محب الدين أبو فيض محمد بن مرتضى الحسيني ، (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ج١٨ ، ص٥٢٨.

(٢) الفيروز أبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي ، (ت٨١٧هـ/١٤١٤م) القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة ، ترجمة : نصر الهوريني ، دار العلم للجميع ، (بيروت ، د.ت) ، ج٤ ، ص٢٧٠.

(٣) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي ، (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب المحيط ، نشر أدب الحوزة ، (قم ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ، ج١٣ ، ص٤٠٢.

(٤) الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، (د.م ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) ، ص١٦-١٧.

(٥) ناجي ، عبد الجبار ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، (د.م ، د.ت) ، ص٥١.

(٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المقدمة)، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر، (بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ، ج١ ، ص٤٢٦.

(٧) محمد ، عمرو إسماعيل ، تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون، وكالة الصحافة العربية، (د.م ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ، ص٥١-٥٢.

[٨] ابن داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م)، سنن أبي داود ، تحقيق وتعليق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، (د.م ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ج٢ ، ص٣٠١.

[٩] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٦٧.

[١٠] ابن حنبل ، أحمد بن حنبل ، (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) ، مسند أحمد ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٢٠١-٢٠٢.

[١١] مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) ، الجامع الصحيح ، دار الفكر ، (بيروت ، د.ت) ، ج٨ ، ص١٨٧.

[١٢] سورة الكهف ، الآية : ٧٧.

[١٣] ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، ص٥٣.

[١٤] المرجع نفسه ، ص٥٦.

[١٥] ابن أبي شيبة الكوفي ، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر ، (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م) ، المصنف ، (د.م ، د.ت) ، ج٢ ، ص١٠.

[١٦] الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق : أحمد جاد ، دار الحديث ، (القاهرة ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، ص٨٠.

[١٧] ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، ص٥٦.

[١٨] الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٨٢.

[١٩] ابن أبي شيبة الكوفي ، المصنف ، ج٢ ، ص١٠.

[٢٠] المقدسي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري ، (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٤٤١هـ/١٩٩١م) ، ص٤.

[٢١] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٦.

[٢٢] القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت ، د.ت)، ص٧-٨.

[٢٣] المصدر نفسه ، ص٨ ؛ عثمان ، محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، (د.م ، د.ت) ، ص١٧.

[٢٤] الرازي ، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر ، (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) ، مختار الصحاح ، طبعه وصححه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص١٧٨.

[٢٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص١٧٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٣ ، ص٢٣٧.

[٢٦] الشاهد ، محمد ، الأستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، مجلة الأجتهاد ، العدد (٢٢) ، السنة السادسة ، (بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص١٩٦-١٩٧.

[٢٧] المرجع نفسه ، ص١٩٧.

[٢٨] زقزوق، محمد حمدي، الأستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط٢، دار المنار، (القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص٢٤.

[٢٩] عبد النور ، جبور ، المعجم الأدبي ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ، ص١٨.

[٣٠] رضا ، أحمد ، معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) ، ج٣ ، ص٣١١.

[٣١] بارت ، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة) ، ترجمة : مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص١٧.

[٣٢] الصغير ، محمد حسين علي ، المستشرقون والدراسات القرآنية ، دار المؤرخ العربي ، (بيروت ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ، ص١١.

[٣٣] صبره ، عفاف ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية ، (د.م ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ، ص٩.

[٣٤] البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالأستعمار الغربي، ط٣، مكتبة وهبه، (القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م) ، ص٢٢٠.

[٣٥] فوزي ، فاروق عمر ، الأستشراق والتاريخ الإسلامي ، منشورات لبنان الأهلية ، جامعة آل البيت، (لبنان ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ، ص٣٠ ؛ محمد ، إسماعيل علي ، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق ، ط٣ ، الكلمة للنشر والتوزيع ، (د.م ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ص١١.

[٣٦] فوزي ، الأستشراق والتاريخ الإسلامي ، ص٣٠.

[٣٧] المرجع نفسه ، ص٣٠.

[٣٨] مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (المدينة المنورة، د.ت) ، ص٣.

[٣٩] بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، (بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ص٥٠٣.

[٤٠] أكبر ، جميل عبد القادر ، عمارة الأرض في الإسلام ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، (جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٦م) ، ص١٧٦.

[٤١] العميد ، طاهر مظفر ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة بغداد ، (د.م ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ، ص١٠٢.

[٤٢] العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، دار المعارف ، (مصر ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، ج٢ ، ص٥٦٩.

(٤٣) أكبر ، عمارة الأرض في الإسلام ، ص١٧٦.

(٤٤) العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١٠٣.

(٤٥) ناجي ، المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية ، دراسة نقدية مقارنة ، مجلة المورد ، المجلد التاسع ، العدد (٤) ، دار الجاحظ للنشر ، (بغداد ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص١٦٨.

(٤٦) بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص٢١١.

(٤٧) ناجي ، المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية ، ص١٦٣.

(٤٨) ناجي ، الأستشراق في التاريخ الإشكاليات الدوافع – التوجهات – الأهتمامات ، المركز الأكاديمي للأبحاث ، (بيروت ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) ، ص٤٣٠.

(٤٩) لجنة إعداد المجلد ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (د.م ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ، ج٢ ، ص١٧٤.

(٥٠) العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١٠٣ ؛ كريزويل ، ك ، الآثار الإسلامية الأولى ، نقله إلى العربية ، عبد الهادي عبلة ، تعليق : أحمد غسان سبانو ، مطبعة خالد بن الوليد ، دار قتيبة ، (دمشق ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص٣٢.

(٥١) العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١٠٣-١٠٤ ؛ شافعي ، فريد ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.م ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص٤١.

(٥٢) شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، ص٤١.

(٥٣) العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١٠٤ ؛ شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، ص٤٤.

(٥٤) شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، ص٤٥-٤٦ ؛ العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١١٠.

(٥٥) العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١١٠.

(٥٦) المرجع نفسه ، ص١١١.

(٥٧) الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد ، (ت٢٥٠هـ/٨٥٨م) ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، دراسة وتحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، (د.م ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص١١٠ ؛ العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١١٢-١١٣.

(٥٨) العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١١٣.

(٥٩) المرجع نفسه ، ص١٣٥.

(٦٠) فكري ، أحمد ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، مطبعة محمدون بوسكو ، دار المعارف ، (مصر – الأسكندرية ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م) ، ص١٠ ؛ العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١٣٦.

(٦١) فكري ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص١٠.

(٦٢) كريزويل ، الآثار الإسلامية الأولى ، ص٤٠-٤١.

(٦٣) فكري ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص١٠-١١.

(٦٤) المرجع نفسه ، ص٩-١٠.

(٦٥) المرجع نفسه ، ص١٠ ؛ العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١٣٨.

(٦٦) فكري ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص١١.

(٦٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص١٥٦.

(٦٨) فكري ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص١١-١٢.

(٦٩) ابن عذاري ، أبو عبدالله أحمد بن محمد المراكشي ، (ت نحو ٦٩٥هـ) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال ، ط٢ ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ج٢ ، ص٢٢٩.

(٧٠) فكري ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص١٢.

(٧١) المرجع نفسه ، ص١٢.

(٧٢) المرجع نفسه ، ص١٣ ؛ كريزويل ، الأثار الإسلامية الأولى ، ص٣٨٨-٣٨٩.

(٧٣) فكري ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص١٣.

(٧٤) المرجع نفسه ، ص١٣.

(٧٥) المرجع نفسه ، ص١٤.

(٧٦) المرجع نفسه ، ص١٤.

(٧٧) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، الخطط المقريزية المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار ، تحقيق : محمد زينهم ، ومديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، ج١ ، ص٣٨١.

(٧٨) كريزويل ، الأثار الإسلامية الأولى ، ص١٦٢ ؛ العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١٣٧.

(٧٩) بريجز ، كريستي أرنولد ، تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة ، ترجمة : زكي محمد حسن ، دار الكتاب العربي، مكتبة السائح ، (سوريا ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ، ص١١٢ ؛ فكري ، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، ص٢١.

(٨٠) العميد ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، ص١١٦.

(٨١) المرجع نفسه ، ص١٣٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأولية.

- القرآن الكريم.
- الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد ، (ت٢٥٠هـ/٨٥٨م).

١- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، دراسة وتحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، (د.م ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- ابن حنبل ، أحمد بن حنبل ، (ت٢٤١هـ/٨٥٥م).

٢- مسند أحمد ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت).

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

٣- تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المقدمة) ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

- ابن داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م).

٤- سنن أبي داود ، تحقيق وتعليق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، (د.م ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

- الرازي ، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر ، (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م).

٥- مختار الصحاح ، طبعه وصححه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

- الزبيدي ، محب الدين أبو فيض محمد بن مرتضى الحسيني ، (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).

٦- تاج العروس من جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

- ابن أبي شيبة الكوفي ، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر ، (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م).
٧- المصنف ، (د.م ، د.ت).
- ابن عذاري ، أبو عبدالله أحمد بن محمد المراكشي ، (ت نحو ٦٩٥هـ).
٨- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة : ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال ، ط٢، دار الثقافة، (بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- الفيروز أبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي ، (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).
٩- القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة ، ترجمة : نصر الهوريني ، دار العلم للجميع ، (بيروت ، د.ت).
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
١٠- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت).
- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م).
١١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : أحمد جاد ، دار الحديث ، (القاهرة ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، (ت٢٦١هـ/٨٧٤م).
١٢- الجامع الصحيح ، دار الفكر ، (بيروت ، د.ت).
- المقدسي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري ، (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م).
١٣- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٤٤١هـ/١٩٩١م).
- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).
١٤- الخطط المقريزية المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار ، تحقيق : محمد زينهم ، ومديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي ، (ت٧١١هـ/١٣١١م).
١٥- لسان العرب المحيط ، نشر أدب الحوزة ، (قم ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).

ثانياً : المراجع الثانوية.

- أكبر ، جميل عبد القادر.
١٦- عمارة الأرض في الإسلام ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، (جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٦م).
- بارت ، رودي.

١٧- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة) ، ترجمة : مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- بدوي ، عبد الرحمن.
١٨- موسوعة المستشرقين ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- بريجز ، كريستي أرنولد.
١٩- تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة ، ترجمة : زكي محمد حسن، دار الكتاب العربي، مكتبة السائح ، (سوريا ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
- البهي ، محمد.
٢٠- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالأستعمار الغربي ، ط٣ ، مكتبة وهبه ، (القاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م).
- رضا ، أحمد.
٢١- معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).
- زقزوق ، محمد حمدي.
٢٢- الأستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط٢ ، دار المنار ، (القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- شافعي ، فريد.
٢٣- العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.م ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- صبره ، عفاف.
٢٤- المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية ، (د.م ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).
- الصغير ، محمد حسين علي.
٢٥- المستشرقون والدراسات القرآنية ، دار المؤرخ العربي ، (بيروت ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- عبد النور ، جبور.
٢٦- المعجم الأدبي ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
- عثمان ، محمد عبد الستار.
٢٧- المدينة الإسلامية ، (د.م ، د.ت).
- العقيقي ، نجيب.
٢٨- المستشرقون ، دار المعارف ، (مصر ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).
- العميد ، طاهر مظفر.
٢٩- تخطيط المدن العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة بغداد ، (د.م ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
- فكري ، أحمد.

٣٠- المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، مطبعة محمدون بوسكو ، دار المعارف ، (مصر – الأسكندرية ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م).
- فوزي ، فاروق عمر.
٣١- الأستشراق والتاريخ الإسلامي ، منشورات لبنان الأهلية ، جامعة آل البيت ، (لبنان ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
- كريزويل ، ك.
٣٢- الآثار الإسلامية الأولى ، نقله إلى العربية : عبد الهادي عبلة ، تعليق : أحمد غسان سبانو ، مطبعة خالد بن الوليد ، دار قتيبة ، (دمشق ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- لجنة إعداد المجلد.
٣٣- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (د.م ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).
- محمد ، عمرو إسماعيل.
٣٤- تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون ، وكالة الصحافة العربية ، (د.م ، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).
- محمد ، إسماعيل علي.
٣٥- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق ، ط٣ ، الكلمة للنشر والتوزيع ، (د.م ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- مطبقاني ، مازن بن صلاح.
٣٦- الأستشراق ، كلية الدعوة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (المدينة المنورة ، د.ت).
- الموسوي ، مصطفى عباس.
٣٧- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، (د.م ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).
- ناجي ، عبد الجبار.
٣٨- الأستشراق في التاريخ الإشكاليات الدوافع – التوجهات – الأهتمامات ، المركز الأكاديمي للأبحاث ، (بيروت ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
٣٩- دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، (د.م ، د.ت).

ثالثاً : البحوث والمقالات المنشورة.

- الشاهد ، محمد.
٤٠- الأستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، مجلة الأجتهاد ، العدد (٢٢) ، السنة السادسة ، (بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

- ناجي ، عبد الجبار.
٤١- المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية ، دراسة نقدية مقارنة ، مجلة المورد ، المجلد التاسع ، العدد (٤) ، دار الجاحظ للنشر ، (بغداد ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).